محمد حمزة غنايم

اعشاب ضالة في الجنة: عن التوراة وعن السياسة

المؤلف: ليئون شيليف

منشورات: خط احمر / الكيبوتس الموحد

٢٢١ صفحة، تل ابيب ٢٠٠٢

يجري البروفسور ليئون شيليف، الخبير القانوني والباحث الاجتماعي، المحاضر في جامعة تل ابيب، حسابا عسيرا مع الواقع الاسرائيلي المعاصر، الذي يتم فيه اخضاع «وجوه التوراة السبعين» على حد تعبيره في كتابه هذا لمختلف التأويلات الفئوية القومية او الدينية، في خدمة مصالح متقلبة ومستجدة على بعض فئات وشرائح المجتمع المعاصر.

دائما انقسمت اليهودية الى معسكرات متعارضة او متناحرة، هكذا كان في الماضي، وهذا ما هو حاصل اليوم: الارثوذوكس و «الحرديم»، الحسيديم والمعارضون، بيت هليل وبيت شماي، وقد اصبحت هذه وغيرها حالات تاريخية معروفة تجد ما يقابلها اليوم في صيغ اليهودية المعاصرة. على هذه الاختلافات جميعا يؤسس شيليف ما يسميه بخلاصة قوة وحيوية اليهودية. ويكتب: «يحقق المعسكر الديني انتصارات كثيرة، في المجال السياسي على سبيل المثال. ازاء القوة المتصاعدة للاحزاب الدينية تتصاعد معارضة تعميق الاوجه الدينية في حياة الفرد، وهناك خوف من خطر بتنا نلمسه منذ الان على هيئة دولة شريعة في الطريق».

وقد اوصلته قراءته النقدية للتوراة الى استنتاجات كثيرة مغايرة لما اضفته التاويلات المسيحانية عليها في ايامنا، ومع ذلك فهو يواصل التمسك بكون اليهودية «حضارة حية ومتجددة، ومهد القيم العالمية العليا كالسلام والعدل والحرية». بالمقابل، نجد ان تفسيره للنص الديني يقدم موقفا مغايرا للتفاسير المتداولة الراهنة، ذات التوجهات القومية او الانفصالية، ويجادل في اساس مسلّماتها.

وفي وقت لا يحسم فيه اليهود في سؤال «من هو اليهودي»، تمشّيا مع النزعة الكامنة في تعقيد كل شيء، يكتب شيليف انه ليس لزاما ان يكون المرء يهوديا لكي يهتم بمصير اليهودية في زماننا، التي يرى انها مطالبة باحداث التجدد لكي تبقى. ويشير شيليف بكثير من القلق الى ان الفئات التي تزعم انها احرص واشد المدافعين المتعصبين عن اليهودية هي التي تعرّض مستقبلها كحضارة للخطر.

لدى شيليف شيء اسمه «يهودية رسمية»، هي صنيعة السلطة التي سلمتها الاغلبية العلمانية للجهات الارثوذكسية وجماعات «الحرديم»، متتبعا حجم تأثيرها في الواقع الاسرائيلي اليوم.

يتوقف المؤلف عند قضايا معاصرة ذات خلفيات ومرجعيات يهودية، مثل الرفض بدوافع الضمير والنظرة الى الاغيار في المجتمع الاسرائيلي، والاغتيال السياسي، ومكانة «جبل البيت» (ارض الحرم القدسي) في اليهودية، والسلام (او غيابه).

منذ الصفحات الاولى للكتاب يبدو موقف المؤلف جليا من الاستخدام السياسي للدين، الغالب الان على العمل السياسي الاسرائيلي، عندما يكتب: «ازاء المذبحة في الحرم الابراهيمي التي نفذها انسان متدين، بدافع من ايمانه الديني – وهي فعلة جرّت وراءها عمليات انتقام وعشرات الضحايا اليهود – يمكن ان نبين، بنوع من التفسير المتجدد، ان هذا المكان، في قلب مدينة الخليل، لا يرمز الى المجابهة بين ابناء ابراهيم على مر الاجيال فحسب، بل المصالحة التي تمت في هذا المكان بين اسحاق واسماعيل، وتواصلها المذهل بعد عدة اجيال، في جيل احفاد ابراهيم، كما كان في المصالحة بين يوسف واخوته. كذلك الحال بالنسبة للقتل في ساحة المدينة باسم حكم الملاحقة، فهو ليس سوى تشويه للمصطلح».

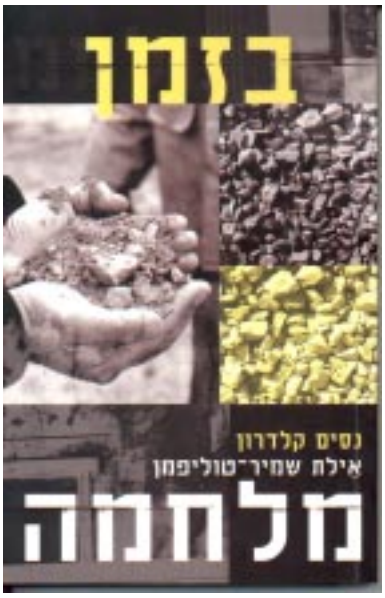

في زمن الحرب

المؤلفان: نسيم كلدرون وايلات شمير طوليفمن

دار النشر «كنيرت»

١٩٩ صفحة، تل ابيب –٢٠٠٢–

التقى مؤلفا هذا الكتاب خلال عملهما في المجلة الادبية الفصلية «عن قرب»، الصادرة بالعبرية في تل ابيب. كان ذلك في الشهور الاولى على انتفاضة الاقصى، وكان طبيعيا ان تدور حواراتهما حول قضايا الادب والسياسة والعلاقة بينهما. كانت هذه حوارات بين النصوص اكثر مما لو كانت حوارات مباشرة، وهي تحمل طابع الشهادة لكل واحد منهما «في زمن الحرب».

يفتتح نسيم كلدرون، الناقد الادبي ومحرر المجلة الادبية «عن قرب»، الكتاب بمقالة طويلة بعنوان «القالب والطبيعة»، جاء على شكل يوميات مثقف تنهار امامه قيم ومسلّمات ومفاهيم كثيرة حول السلام، والحب، والحرب، والعلاقة بالاخر الفلسطيني، واليسار واليمين، وغيرها من القضايا والاسئلة ذات الصلة بالراهن الثقافي – السياسي الاسرائيلي المتقلب باستمرار.

ويكتب: في داخل هذا الوضع تنسج علاقات جديدة بين الاسرائيلي كقاريء صحف، وناخب، ومعيل، ومحتل، ومهاجَم – من جهة – وبين الاسرائيلي كقاريء كتب وقصائد من جهة اخرى. خاصة وان هذه الحرب حركت بقوة متميزة مستودع الرموز لدينا. استخرجت من المستودع عددا من الرموز التي لا يمكننا نسيانها. كذلك اضاءت بضوء قوي جهاز انتاج الرموز عندنا، والتشوق الاسرائيلي الى الترميز، والتحفظ الاسرائيلي من ذلك، والعلاقة بين الواقع والرمز. عن ذلك، وعن الرموز الاسرائيلية وانتاجها، يوجد لدى الادب ما يقوله. وما يتذكره.»

جاءت مادة كلدرون الثانية على شكل شهادة ادبية سجل فيها انطباعاته من نيويورك التي مكث فيها في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ خلال الهجوم على المدينة ويكتب ان «الانتقال من الوحشية في المكان الاسرائيلي – الفلسطيني الصغير الى الوحشية في المكان الاميركي الضخم كان متصلا بصدمة مقارنات وكذلك بالتفكير بالرموز القاتلة هنا والرموز القاتلة هناك».

تطرق الحوار بين المؤلفين الى قصص الاديب يوفال شمعوني، الذي اشغلتهما افكاره الادبية بشكل بارز. فقد وضعت امكانية التعبير الادبي في ايام الحرب بشكل عام، وفي ايام هذه الحرب بالذات، وفي غضون ذلك اشارت الى الصعوبات الخاصة والحواجز التي يجد الادب نفسه في مواجهتها. وقد اثبت المؤلفان مختارات من قصة شمعوني «فن الحرب» ومن رواية له بعنوان «غرفة». وتكتب ايلات شمير طوليفمان قصة بعنوان «هل ترى ما اسمع»، تدور وقائعها «في ايام الحرب» الفلسطينية – الاسرائيلية المتواصلة منذ مائة عام، محاولة من خلالها العثور على اجابات شافية لاسئلة كثيرة تشغل بال الطرفين الان.

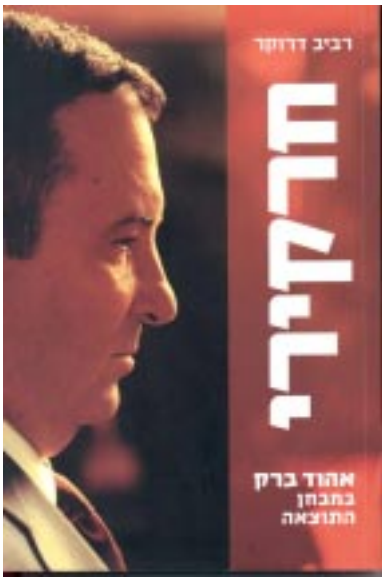

هاريكاري – ايهود باراك في امتحان النتيجة

المؤلف: رفيف دروكر

دار النشر: يديعوت احرونوت

٤١٦ صفحة، تل ابيب –٢٠٠٢–

ابقت فترة حكم ايهود باراك القصيرة دولة اسرائيل في اوج مجابهة دامية ومريرة مع الشعب الفلسطيني وسلطته الوطنية، والى حد كبير مع العالم العربي برمته.

هذا الكتاب ثمرة جهد صحافي واسع لصاحبه كمراسل سياسي في راديو الجيش الاسرائيلي، على مدار الشهور العشرين التي قضاها باراك في الحكم، وبضمنها الاسابيع الحاسمة التي سبقت الانفجار مع الفلسطينيين في اواخر ايلول ٢٠٠٠، بعد ان فشلت قمة كامب ديفيد الثلاثية في انجاز اتفاق سياسي بين الفلسطينيين والاسرائيليين. وفي ذلك يكتب المؤلف رفيف دروكر: «في تلك الايام قادتني سذاجتي الى الاعتقاد بأنني بصدد تأليف كتاب عن الاتفاق التاريخي الذي سيوقعه باراك مع الفلسطينيين والسوريين وربما مع الدول العربية كافة. بنظرة للوراء، هذه قصة الفشل، الفشل الكبير، الذي لم نعرف مثيلا له في تاريخ دولة

اسرائيل».

صدر حتى الان عدد من الكتب باللغة العبرية عن فترة حكم باراك، كان كتاب دروكر ثالث هذه الكتب التوثيقية، بعد كتابي بن عامي وبيلين حول كامب ديفيد وما تلاها.

هذا الكتاب يظهر كيف جلب باراك انتفاضة فلسطينية ثانية الى دولته وشعبه، بدلا من صنع السلام مع الفلسطينيين والعرب. جاء باراك الى الحكم في اسرائيل وسط اجواء احتفالية غير مسبوقة، توجته «ملكا على اسرائيل» وصانع السلام القادم مع جميع العرب، لكنه بعد عشرين شهرا في الحكم تحول الى اكثر الاشخاص المكروهين في اسرائيل، وبعد فشل كامب ديفيد مهدت حربه على الفلسطينيين الارضية لصعود ارئيل شارون الى الحكم.

خلال عمله على الكتاب قابل المؤلف مائة وعشرين شخصية في اسرائيل والولايات المتحدة والسلطة الفلسطينية، بينما رفض باراك نفسه الحديث الى المؤلف عن موضوع كتابه.

ويتطرق الكتاب الى المفاوضات الشهيرة مع سورية والانسحاب من لبنان والصراعات الحادة في مكتب باراك نفسه، وادمانه على استطلاعات الراي العام، والانهيار السياسي لحكومته وبالتالي خوض انتخابات ٢٠٠١.

يقول المؤلف ان باراك يفضل اعتبار سقوطه نوعا من «الهاريكاري السياسي، أي: انه كان يعي ابعاد ما يقوم به، ما جعله مستعدا للتضحية بمستقبله السياسي في سبيل دولة اسرائيل». لكن المؤلف يشكك فيما اذا كان هذا التفسير الصحيح لقرارات باراك السياسية، ويكتب: «لا شك في ان المليون وثمانمائة الف اسرائيلي الذين صوتوا لباراك في ١٩٩٩ لم ينتخبوه لكي ينتحر، ومؤكد انهم لم يتوقعوا ان يأخذ الجميع معه الى الانتحار».

الثورة الاشكنازية ماتت: تاملات في اسرائيل من زاوية قاتمة

المؤلف: سامي شالوم شطريت، المحرر: ايلي حامو

منشورات كيشت مزرتح

٢٠٨ صفحات، تل ابيب ١٩٩٩

مؤلف الكتاب معلم وشاعر، و «راديكالي اجتماعي» كما يصفه محرر الكتاب ايلي حامو. فهو من مؤسسي حركة البديل التربوية «كدماه» ومن مؤسسي «القوس الشرقي الديمقراطي».

يضم الكتاب مجموعة كبيرة من مقالات المؤلف (من اصل مغربي) بين السنوات ١٩٩٢ و ١٩٩٩ في التاريخ والثقافة والهوية والتربية والتعليم والاقتصاد وصراع الطبقات واليسار واليمين والشرقيين والحرب والسلام والاعلام الاسرائيلي، تميزها نكهة «النقمة الشرقية» من كل ما هو اشكنازي في اسرائيل.

وخلافا لمثقفين شرقيين يهود كثيرين، ممن يلهثون كل الوقت وراء الشرعية الاشكنازية الرسمية (المؤسساتية)، خرج سامي شالوم شطريت بشجاعة نادرة الى مجابهة فكرية صدامية مع السيادة الصهيونية – الاشكنازية، غارزا كلماته في قلب الميثولوجيا التي انتجتها، ليس دون ان يكون ذلك مقرونا بتضحية شخصية مريرة.

يناقش المؤلف في كتابه مفهوم «الدولة الاشكنازية» التي ارادها هرتسل، ويكتب: «تخيلوا ان حلم هرتسل ومواصلو دربه حول الدولة الاشكنازية تحقق: «علينا ان نبني هناك (في الشرق الاوسط) سورا اوروبيا واقيا ضد اسيا، يكون بمثابة موقع دفاعي للحضارة ضد البربرية» (من كتاب «دولة اليهود»). في مثل هذه الحالة كانت اسرائيل الاوروبية العلمانية ستبدو مثل مستعمرة بيضاء تابعة لاوروبا، لانها ستفتقد الى «الشرعية الشرقية» التي تبرر وجودها في الشرق الاوسط. اليهود الشرقيون الذين الحقوا بالدولة، وان كان ذلك دون مبادرة منهم وبلا مناص، هم الذين يعطونها هذه الشرعية، هذه «المناعة التاريخية» والطبيعية لكي تعيش هنا (...) تخيلوا دولة اشكنازية، هل كانت ستتحدث العبرية هنا من دوننا؟ وبلكنة اشكنازية؟ او لكنة المانية، كما اراد هرتسل، ام بالايديش، كما طالب كالمان كتسنلسون في كتابه «الثورة الاشكنازية». ايد كتسنلسون الابرتهايد القانوني تجاه كل شرقي يقرر العيش هنا. كيف يمكن لذلك ان يتفق مع فكرة الانضمام الى عائلات الشعوب الديمقراطية؟ هل كان الاشكناز سينجحون وحدهم في توطين وبناء كافة مناطق البلاد، ام سينغلقون في غيتو يهودي ابيض في منطقة «غوش دان» والشريط الساحلي الضيق؟ هل كانوا سينجحون ببناء جيش كبير وقوي؟ ».

«وماذا بخصوص الفلسطينيين»، يتساءل شطريت في كتابه، ويجيب: «في دولة اشكنازية، كان الاشكناز سيضطرون للقيام ايضا بعمل «الكراهية» القذر والتخلي عن النورانية. بفضل الشرقيين يمكنهم اليوم الاشتغال بمظاهرات سلمية، كأنهم لم يهندسو بانفسهم الاحتلال

والقمع في هذه الحرب اللامتناهية، في وقت يتلوث فيه الرسل الشرقيون بقذارة «الكراهية» (الذاتية في الاصل) والقمع اليومي للفلسطينيين. اين كانت تطلعات التوسع الاوروبية ستتوقف، وكم من الوقت كانت ستصمد؟»

في اصل هذه المقالات كلها فكرة واحدة مركزية – ان عنصرية «الاباء المؤسسين الاشكناز» والكثيرين من مواصلي دربهم، مثل اية عنصرية اخرى، ليست نابعة من مشاعر التفوق فحسب، بل من الخوف من الاخر والمختلف في الاساس، وبكثير من الجهل واحيانا الغباء.

مع ذلك يكتب المؤلف: «ممنوع ان نرد على العنصرية بالعنصرية، بل علينا الكشف عنها ورفضها. علينا فتح عيون العنصريين وتحريرهم من المخاوف والغباء. لكن قبل كل شيء علينا ان نتحرر بانفسنا من صورة الدونية التي لصقت بنا ومن القمع الذي توصلنا اليه. علينا ان ندرس انفسنا من جديد ونشارك في تعريف الهوية الاسرائيلية، من خلال تعريفنا لانفسنا بصورة ديناميكية ومفتوحة».

الزرزور والغراب: ارئيل شارون وشمعون بيريس على حقيقتهما

المؤلف: يئير كوتلر

الناشر: يرون غولان

٢٤٨ صفحة، تل ابيب –٢٠٠٢–

لعل ادق وصف صدر عن كاتب اسرائيلي للثنائي الذي يحكم اسرائيل الان، شمعون بيريس وارئيل شارون، ما ورد في عنوان الكتاب الجديد للصحافي يئير كوتلر، الصادر هذه الايام في تل ابيب. يحمل الكتاب اسم «الزرزور والغراب»، ومؤلفه من اهم الكتاب الصحافيين في اسرائيل، وقد عمل محررا لصحيفة «هارتس»، وكاتبا كبيرا في «معاريف»، ومحررا لاسبوعية «الشارع الرئيسي – تل ابيب» ولصحيفة «غلوبوس» الاقتصادية اليومية، وهو اساسا من الكتاب المخضرمين (كتب زاوية مشهورة في اسبوعية «هعولام هزيه» في الستينيات).

هذا هو كتابه الثاني حول تجربة حكومات الوحدة الوطنية في اسرائيل، بعد كتابه الضخم «المنتخب القومي»، الصادر في العام ١٩٨٨ بجزءين (٨٤٢ صفحة)، وفيه يتناول تجربة التبادلية في حكومة الوحدة الوطنية التي قامت في اسرائيل سنة ١٩٨٤ واستمرت حتى العام ١٩٨٨، بعد ان تناوب على رئاستها كل من شمعون بيرس (١٩٨٤ – ١٩٨٦) واسحاق شمير (١٩٨٦ – ١٩٨٨)، مع ان الثاني فقط وصل الى الحكم بعد فوزه في الانتخابات، لكن هشاشة ائتلافه الحكومي المحتمل جعلته يوافق على تقاسم السلطة مع شمعون بيريس خصمه السياسي، مبررا ذلك برغبته بالحفاظ على «السلام الداخلي». ضمت تلك الحكومة ٢٧ وزيرا، يكتب المؤلف انهم «لم يزيدوا اسرائيل شرفا، ولم يكونوا مصدر اعتزاز، ولم يكن بالامكان التأثر من افعالهم، وبعضهم ما زال معنا الى اليوم، وبرأسهم ارئيل شارون وشمعون بيريس. كانت رغبة الخلود في الحكم محفزهما الاساسي».

منذ الكتاب الاول الصادر قبل ١٤ عاما بدا ان المؤلف يؤكد على ان «الاغلبية الصامتة» في اسرائيل ملّت من اخفاقات زعمائها، المتواصلة منذ اقامة دولتها، «لأن كل ما يهمهم هو الحرص على امنهم الاقتصادي وتطورهم المهني والاجتماعي، اكثر من اهتمامهم وحرصهم على مصير اسرائيل وسكانها».

كان الاستنتاج الابرز الذي توصل اليه المؤلف في ١٩٨٨ ان حكومة وحدة وطنية في اسرائيل تعد «وصفة لجمود فكري وعجز عن العمل وهدوء داخلي وهمي واخفاقات لا حصر لها». وفي تقديمه لكتابه الجديد يقول ان نفس القصة تقريبا تكرر نفسها في اوسع حكومة عرفها تاريخ اسرائيل القصير، التي شكلها ارئيل شارون في شتاء ٢٠٠١ بعد ان سجل انتصارا ساحقا على ايهود باراك، وهو ما يحظى لدى المؤلف بالقول انه «رئس حكومة ذات لون يساري، خلفت وراءها الخرائب وكادت تؤدي الى حرب اهلية في اسرائيل».

انضم ٤١ وزيرا ونوابهم الى حكومة شارون، وهو اجراء يبدو للكثيرين في اسرائيل تعديا في دولة مصابة بالبطالة العالية. تشكلت حكومة شارون – بيريس المزدوجة بسبب الانتفاضة اولا، التي اندلعت في اواخر ٢٠٠٠. ومع ان هذه الحكومة لا تقوم على التبادلية كما هو معروف، «لكن رئيسها شارون ووزير الخارجية بيريس يتقاسمان السلطة فعلا بدون القاب وكل واحد يشد الى جهته، من خلال محاولة شل عمل الثاني».

هذا هو سبب المراوحة في المكان التي يتميز بها اداء حكومة شارون الان، وهي مراوحة «تصرخ في وجوهنا» كما يقول المؤلف. اقيمت حكومة شارون بمبادرة شارون وبيريس، تماما مثلما اتحدا في السابق لتشكيل حكومة الوحدة سنة ١٩٨٤: «هما صديقان قديمان، وبمثابة زرزور وغراب: ليس صدفة ان ذهب الزرزور الى الغراب، سوى لأنه من جنسه».

بعد اكثر من عام في السلطة، لا يمكن

لحكومة شارون – بيريس الاشارة الى انجازات ذات قيمة، او أي نوع من الانجاز، وفي كل المجالات: «الانتفاضة تتواصل وتتعمق وسط ارتفاع وانخفاض، والسلام ابعد من أي مرة سابقة، والاقتصاد في تدهور، والبطالة تطاول السماء، والدولار يحلق عاليا، والفائدة تنخفض، والسياح يتجنبون الوصول الى البلاد المقدسة، والمجتمع الاسرائيلي مفكك ومشروخ، والاغنياء يزيدون اموالهم والفقراء يزدادون فقرا».

يصف الكتاب الجديد «الزرزور والغراب» الاحداث الرئيسية التي جرت في اسرائيل حسب التسلسل الزمني منذ نهاية دورة حكومة الوحدة الوطنية السابقة (١٩٨٨) الى يومنا هذا. وفيه «حقد» واضح على «الزرزور الغراب»، دون ان يحاول تحديد من منهما الاول ومن الثاني؟

وفيه محاولات للاجابة على اسئلة من نوع: ما هو المشترك والمختلف بين «ملك» اسرائيل (بيبي نتنياهو) وبين «الكارثة» و «النكبة» ارئيل شارون وشمعون بيريس؟ برأي المؤلف ان المشترك اقوى من المختلف ويتلخص بكلمة واحدة: الخلود، وربما بثلاث كلمات محورية اخرى: محاربة بيبي نتنياهو، وما هو سر كراهية موشيه شاريت ثاني رئيس حكومة في اسرائيل ووزير خارجيتها لسنوات طويلة لشمعون بيريس الى حد انه حذر منه في العام ١٩٥٧ قائلا: «انني ارفض شمعون بيريس كل الرفض وارى في صعود نجمه لعنة اخلاقية من النوع الاشد خطورة. سوف امزق ثوبي حزنا على الدولة عندما اراه جالسا على كرسي وزير في اسرائيل»، وما هو رأي شولاميت الوني بشمعون بيريس ولماذا تعتبره «اكبر كارثة عرفتها اسرائيل»، تماما كما اعتبره كثيرون من رؤساء الحكومة من قبلها بانه «خطر»؟ ومتى ولماذا غير المستشرق والحاكم العسكري سابقا تسفي البيلغ رأيه بالعرب في اسرائيل وبالفلسطينيين الى حد انه بات يعتبرهم «خطرا على وجود اسرائيل»؟ وما هو نوع الدولة التي يريدها – اذا كان حقا راغبا بذلك – ارئيل شارون للفلسطينيين؟ ولماذا يعتقد الجنرال احتياط اماتسا حين قائد سرية شكيد وقائد الحملة العسكرية الاسرائيلية على مخيمات اللاجئين والحركة الفدائية في غزة سنة ١٩٧٠ بان اسرائيل «تقوم بعملية انتحار»؟ وما هو رأي المؤرخ اوري ميلشتاين المتخصص بحروب اسرائيل واجهزتها الامنية بشارون ولماذا يعطيه علامة ثمانية زائد؟ وماذا يجري داخل مكتب شارون المغلق ولمن يقومون بتسريب الاسرار؟ من يوجه شارون ويعد له الاجابات لكل الاسئلة، ليقوم بترديدها غيبا كتلميذ شاطر؟ وكم دولارا بالفعل ربح شمعون بيريس في جولة محاضرات قصيرة في الولايات المتحدة في انتخابات ١٩٩٦ بعد ان مني بهزيمة نكراء امام بيبي نتنياهو؟

بقي ان نقول ان الترجمة العربية للكتاب ستصدر هذا العام عن «مدار».

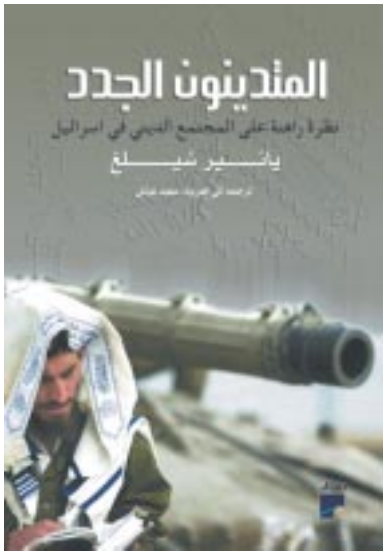

المتدينون الجدد

المؤلف: يئير شيلغ

ترجمه عن العبرية: سعيد عياش (القدس)

الناشر: المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية «مدار»

٤٣٩ صفحة، رام الله ٢٠٠٢

في العقدين الاخيرين كان الجمهور اليهودي المتدين في اسرائيل عنصرا مركزيا في صياغة ملامح المجتمع الاسرائيلي بشكل عام والسياسة بشكل خاص.

هذا الكتاب يستعرض ويحلل الجماعات الدينية في اسرائيل، بدءا بالمتدينين القوميين وانتهاء بالحريديم – حياتهم، نظرياتهم، اهدافهم الشخصية والعامة، وكل ما يتصل بهذه الظاهرة المتميزة والمؤثرة في الحياة العامة في الدولة العبرية.

مؤلف الكتاب صحافي وعضو هيئة تحرير «هارتس»، وقد كرس كتابه كله للبحث في المتغيرات التي شهدتها الجماهعات المتدينة اليهودية هنا، وقد توصل الى الاستنتاج بأن الجمهور المتدين اليهودي متأثر بالعلمانية العصرية للجمهور العام في اسرائيل، وهو تأثر ينجح بتغييره ويعيد صياغته كـ «متدين جديد». ويقول: ان التغيير الخاص في مجتمع المتدينين اليهود ناجم بالذات عن قوته المتزايدة بعد ان تسبب تزايد حضوره الديموغرافي وتعاظم تاثيره السياسي بتوسيع «مناطق احتكاكه» بالعالم العلماني، والنتيجة: الانفتاح امام مزيد من التأثيرات الخارجية.

ينقسم الكتاب الى ستة ابواب ومدخل وخاتمة وببليوغرافيا، ويبحث الباب الاول في الصهيونية الدينية، والثاني في مجتمع الحريديم، والثالث في الدينية الشرقية والرابع بعنوان روحانية بلا حدود والخامس في الحركات غير الارثوذكسية والسادس في المتدينين في مواجهة العلمانيين.

كتب المؤلف في المدخل يقول: ان «انقلاب» ١٩٧٧ الذي جلب مناحم بيغن الى الحكم في اسرائيل «جدير بان يذكر ايضا كيوم الانقلاب الكبير في مركز وقوة المجتمع الديني في اسرائيل. وقد عبر هذا الانقلاب عن نفسه اولا

وقبل كل شيء في المجال السياسي، فلغاية انتخابات ٧٧ كانت الاحزاب الدينية بمنزلة شريك ثانوي في السلطة الواثقة بنفسها لحركة العمل على اختلاف تفرعاتها..».

ويحلل المؤلف في كتابه كيف ان المجتمع الديني الاسرائيلي خلال العقدين الاخيرين اخذ يبدي رغبة متزايدة في التاثير على صورة المجتمع الاسرائيلي، في وقت يظهر فيه ايضا الاستعداد لاستيعاب تاثيرات مختلفة للواقع الاسرائيلي المعاصر، وهي عملية تسم تيارات المجتمع الديني كافة، ولا تقتصر على الصهيونية – الدينية، بل تشمل مجتمع الحريديم ايضا».

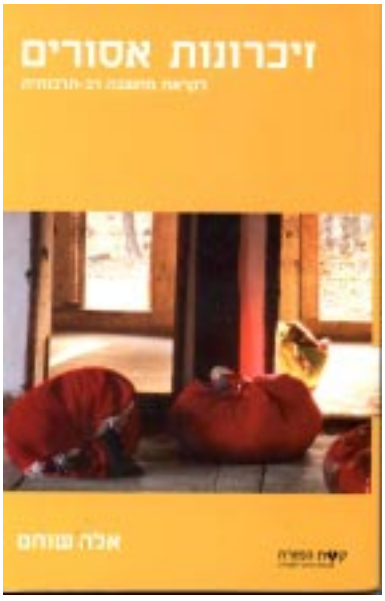

ذكريات ممنوعة، نحو تفكير متعدد الثقافات

تاليف آلاه شوحط

منشورات كيشت مزراح

٤٠٣ صفحة، تل ابيب ٢٠٠١

تبحث بعض مقالات هذا الكتاب في ما تصفه المؤلفة بانه «استبداد الخطاب الصهيوني»، وهي مكتوبة بقلم باحثة ولدت وتعلمت في اسرائيل، لكنها صدرت بالانكليزية اولا ونشرت في لغات اخرى قبل ان تصدر باللغة العبرية.

يوحي عنوان الكتاب – كما تبين دراساته اساسا – بتشعب الازمنة المتداولة فيه، فهناك جدلية قائمة بين الماضي والمستقبل، وبين التاريخ والكتابة المتجددة، وبين التذكر وادعاء امتلاك الذاكرة الجماعية. وقد تمحورت دراساته في طرق تمثيل الماضي، وفي الانتاج الثقافي ووسائل الاتصال والنشاط السياسي.

تكتب المؤلفة في التقديم: «كما لو في حلبة قتال، يدور الصراع حول «الماضي»، الذي يدعي صانعوه الملكية المطلقة للالم التاريخي، والذاكرة الجماعية وامتيازات تفعيلها. لذا فان الذكريات التي تعرّض الهيمنة الثقافية للخطر يتم حظرها، ونبذها والتوقف عن تذكرها.»

التذكر لدى شوحط ليس مجرد تطلع نوسطالجي الى ازمنة وامكنة كانت، وانما اداة في صياغة الاسئلة الضرورية الراهنة: الى أي حد يمكن اطلاق الاشواق في عالم هجرة واقتلاع وغربة او لجوء؟ كيف يسمح بتعريف الهوية في عصر ثورة الاتصالات الكونية، ومن يحق له الحديث عنها وتمثيلها؟ أي نوع من الذكريات والمشاهد والاصوات يتجول في العالم، بينما يضطر غيرها الى التسلل عبر الحدود؟

في هذه المقالات تضع المؤلفة افقا نظريا وتخطيطا تاريخيا يستجيبان للتحديات التي تتضمنها الاسئلة اعلاه، وتبحث في ايجاد الماضي وتصوّر المدى في الخطاب الرسمي والبحث العلمي والانتاج الادبي والنشاط السياسي في اسرائيل. وتتناول بالنقد والتحليل الهستوريوغرافيا الصهيونية والهويات الشرقية، والاستشراق الهوليوودي والسينما الثورية، والحكاية القومية ومفاهيم ما بعد الحداثة، والادب النسوي والنظريات الما بعد كولونيالية.

المؤلفة بروفيسور في دراسة الثقافات العالمية، وهي ناقدة ومحاضرة في دراسات الثقافات في جامعة نيويورك. عندما صدر كتابها الاول «السينما الاسرائيلية – تاريخ وايديولوجيا» (١٩٩١) اثار الكتاب جدلا شعبيا واسعا وساهم في اغناء الجدل النقدي الاسرائيلي وبلورة اجندته.

ولدت الاه شوحط في اسرائيل لعائلة مهاجرة من بغداد، وكانت ناشطة في حركات شرقية يسارية. تعيش وتعمل في نيويورك.

«عتون ٧٧» – مجلة ثقافية شهرية

العدد ٢٦٨ حزيران –٢٠٠٢–

خصصت المجلة الثقافية العبرية «عتون ٧٧» الصادرة في تل ابيب، معظم صفحات عددها الجديد للادب العربي الحديث. وتضمن العدد مجموعة كبيرة من النصوص الادبية المترجمة للغة العبرية، تنشر لاول مرة، اختار وترجم معظمها الزميل محمد حمزة غنايم.

نقرأ ضمن مواد المجلة مقالة للكاتب انطوان شلحت حول حرية التعبير في اسرائيل، واخرى للكاتب ابراهيم طه حول الادب العربي في اسرائيل.

ونشرت المجلة الترجمة العبرية لمطولة الشاعر ادونيس الجديدة «مرحى للموت الفلسطيني»، اضافة الى قصيدة الشاعر محمود درويش «في بيت ريتسوس» وكلمته في لقاء وفد الكتاب العالميين في رام الله قبل شهور، بعنوان «حتى متى نصفق لمسيح في طريقه الى الجلجلة».

وتضمن العدد ايضا الترجمة العبرية لقصة الكاتب اكرم هنية «يوم عادي» المأخوذة من مجموعته القصصية الجديدة «اسرار الدوري» الصادرة مؤخرا في رام الله، وقصائد للشعراء نزار قباني (ترجمة بيرتس بناي)، وسلمان مصالحة (كتبها صاحبها بالعبرية)، واشرف الزغل (ترجمة ساسون سوميخ) ونعيم عرايدي (ترجمها بيرتس بناي). وترجم بيرتس بناي قصيدتين لسامر خير وانيسة درويش.

وهناك مقابلة مع الكاتب عزت الغزاوي رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية، تحدث فيها عن اوضاع الكاتب الفلسطيني في ضوء الاجتياح الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية، الى جانب نص مترجم له، ومقابلة اخرى مع الشاعر الشاب اشرف الزغل اجرتها شولي كيشت.

ويشار هنا الى ان مجلة «عتون ٧٧» (الصادرة منذ العام ١٩٧٧) تقيم تقليدا سنويا باصدار عدد خاص بالادب العربي، وهي تضم في هيئة تحريرها ادباء وشعراء عرب (انطون شماس ومحمد حمزة غنايم)، ويتولى تحريرها الشاعر المعروف يعقوب بيسر.

سلسلة «اوراق اسرائيلية» رقم ٩

ترجمة: نواف عثامنة، تقديم: انطون شلحت

الناشر: المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية «مدار»

رام الله ايار –٢٠٠٢–

هذه هي الورقة التاسعة من سلسلة اوراق اسرائيلية الصادرة عن «مدار»، خصصت لـ «وثيقة طبرية»، الصادرة عن مداولات مجموعة من الشخصيات الاسرائيلية في كيبوتس كنيرت القريب من طبرية، كانت قد اجتمعت لوضع «ميثاق حد ادنى» لجميع مواطني اسرائيل، بروح «وثيقة الاستقلال»، ومع مراعاة للمستجدات على الساحة الاسرائيلية الداخلية.

تضمن الاصدار الجديد بالاضافة الى نص الوثيقة تعقيبات عليها باقلام يولي تمير، روت غبيزون، شمعون بلاص، يرون لندن، بن درور يميني واخرين.

وكتب انطون شلحت مقدمة ضافية لها، بعنوان «ميثاق كنيرت: الهروب الى امام»، جاء فيها ان «ميثاق كنيرت» يضعنا امام صيرورة اسرائيلية تفيد بأنه ما من موضوع راهن يحتقن حوله «اجماع قومي يهودي» اكثرمن موضوع المحافظة على «الطابع اليهودي – الصهيوني» لدولة اسرائيل. ويجدر التذكير بأن هذا «الاجماع» ومع استمرار الانتفاضة الفلسطينية وامتدادها، ولو الى حين، الى الجماهير الفلسطينية داخل تخوم «الخط الاخضر» (ما عرف باسم «هبّة اكتوبر ٢٠٠٠») سرعان ما اجج حديثا متواترا حول ما يسمى بـ «الخطر الدمغرافي» الذي يشكله العرب الفلسطينيون على طابع اسرائيل السالف، بين اوساط اليمين واليمين المتطرف وايضا بين اوساط محسوبة على «اليسار الصهيوني».

في «وثيقة هرتسليا» اقترح مخططوها – وهم شخصيات بارزة في القيادة الامنية وفي النخبة الاكاديمية في اسرائيل – مواجهة هذا «الخطر»، ضمن اشياء اخرى، بواسطة طريقة تعيد الى الاذهان، وان بصورة غير معلنة، فكرة «الترانسفير» الجهنمية. اما في «ميثاق كنيرت» فان النص يطالب بمراعاة ان يحافظ على هذه الاغلبية «بطرق اخلاقية فقط». غير انه منذ نشر «ميثاق كنيرت» جرت مياه كثيرة في النهر، كما يقولون. وتمثلت احدى نتائج هذا الجريان في انتقال التأييد لفكرة «الترانسفير»، باعتبارها احد افضل الحلول لمسألة «الخطر الدمغرافي»، من الاطراف او الهوامش السياسية الى قوى واحزاب واقفة في واجهة نظام الحكم الاسرائيلي.

جيل منتصب القامة

المؤلفان: داني رابينوفتش وخولة ابو بكر

سلسلة «الاسرائيليون: السلسلة»، منشورات «كيتر»

١٩٧ صفحة، القدس –٢٠٠٢–

على غلاف الكتاب الاول، اقتبس الناشر العبارة التالية من اقوال المؤلفين في المقدمة: «بعد عشرات من السنين التي انكر فيها وجود الاقلية الفلسطينية في اسرائيل كمجموعة مدنية كبيرة، يستقظ الاسرائيليون الان – قوميون وليبراليون على السواء – على فجر جديد يخيفهم. فالديناميكية الجديدة تهدد سيادة بدت الى ما قبل حين مضمونة للابد. ومخاوف الجمهور اليهودي من تطلع قومي فلسطيني ينتقص من استقرار الدولة يتحول الى عنصر مركزي في معادلة المخاوف التي تهز الاسرائيليين اكثر فاكثر».

من هنا جاء هذا الكتاب متضمنا استنتاجات «ليست سهلة الهضم»، تطرقت الى ما يسميه المؤلفان بـ «الوعي الجديد لدى سُدس سكان الدولة، هذه الاقلية من الفلسطينيين سكان اسرائيل الذين يطالبون اكثر من أي وقت مضى بالمكانة وبالحقوق التي يستحقونها».

يتطرق الكتاب الى الجيل الشاب الذي صنع انتفاضة الاقصى منذ اكتوبر ٢٠٠٠ وهو نفس الجيل المولود في يوم الارض الاول ١٩٧٦ ويتمتع بوعي قومي واضح تحاول الاغلبية اليهودية طمسه.

ترتسم ملامح هذا الجيل لدى المؤلفين من خلال تقسيمهما العرب في اسرائيل الى ثلاثة اجيال رئيسية، اهمها بنظرهما الجيل الجديد، «المنتصب القامة» (كما يقول عنوان الكتاب)، ثم جيل الباقين الذين لم يغادروا وطنهم في الرحيل الكبير عام ١٩٤٨، جيل بقايا النكبة، وهناك جيل الاستمرارية المولود بعد اسرائيل، الذي يبدو للمؤلفين جيلا منهكا، يكاد يكون «سلبيا» الى حد كبير؟!

في القسم الثاني من الكتاب يسرد المؤلفان سيرة عائلتيهما، ويقدمانها مثلا على امكانية التعايش المشترك بين الفلسطينيين والاسرائيليين.

المؤلفان، الدكتور داني رابينوفتش مولود في حيفا عام ١٩٥٤ باحث في علم الانثروبولوجيا، ومحاضر كبير في قسم علم الاجتماع في جامعة تل ابيب، ويكتب في صفحة الرأي في صحيفة «هارتس». اما الدكتورة خولة ابو بكر فهي من مواليد عكا (١٩٥٥) وتحاضر في قسم علم السلوك في «كلية يزرعيل». صدر لها عام ١٩٩٨ كتاب «في طريق غير معبدة» حول النساء الفلسطينيات كقيادات سياسية في البلاد.

اشياء (لا) يجوز الصمت عنها

المؤلف: اسحاق لاؤور

منشورات «بابل»

٢٤٠ صفحة، تل ابيب -٢٠٠٢-

يواصل الشاعر والكاتب الاسرائيلي اسحاق لاؤور في هذا الكتاب مشروعه النقدي للادب العبري المعاصر، الذي بدأه في مطلع العقد الماضي بكتابه «نكتبك يا وطن»، راسما في اربعة وعشرين مقالا تضمنها كتابه الجديد الاوجه المختلفة للتجربة الاسرائيلية - الاجتماعية والسياسية والايديولوجية.

«هذه ايام سيئة للثقافة»، يكتب لاؤور، «فقد عاش اسرائيليون كثيرون جدا في وهم بأن ديمقراطية ستنشأ هنا، وثقافة وفنا وحرية تفكير، بينما في وراء الحدود، في «مستعمرات التاج» البعيدة، ينفلت الاحتلال، وينشط مشروع الاستيطان. هم يستوطنون، قال اللبرالي الطيب، ولنا ستكون «ثقافة»، و «سنكون اوروبا». وها هو خلف التلال يشهد اعمالا كاعمال اوروبا في افريقيا. والان، غيم كبير يغطي عين الشمس (...) ما اعتُبر في الستينات امرا متطرفا (البناء اليهودي في القدس الشرقية على سبيل المثال) وما اعتبر في السبعينات امرا متطرفا (مستوطنات غوش امونيم في منطقتي رام الله والخليل كمثل) وما اعتبر في الثمانينات امرا متطرفا (المستوطنات في منطقة نابلس كمثل)، صار اكثر «اعتدالا» في نهاية العقد السابق، أي انه لم يعد «متطرفا». وبنفس القدر، تحول التمسك بالعودة الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ الى «متطرف». لنترك السؤال عن الطريقة التي تم بها ذلك. يكفي ان نفهم ان على الثقافة ان تتغير لكي تحدث مثل هذه الاشياء، وكل ذلك خلال مدة زمنية تقل عن حياة انسان واحد، ولكي يحدث مثل هذا الامر باختصار لا بد لعدد كبير من الاشخاص، والكثير من المقررين في الذوق، وبضمنهم ادباء وفنانون، من الخروج للزنى في حقل الافكار. فليست المقاييس الاخلاقية ما تغير. اصحاب القوة استبدلوا المواقع ولحق بهم الاقزام».

يقدم لاؤور في قراءاته في الثقافة الاسرائيلية المعاصرة موقفا واضحا ونقديا من ثقافة الحرب الاسرائيلية ويكتب: «من جهة الوعي الاسرائيلي، هناك اجزاء ليست حية، ومشلولة، وخرساء اكثر مما يجب: ملايين الرعايا الفلسطينيين في المناطق المحتلة ينتمون الى الوعي للحظات فقط، بينما نتواجد نحن في وعيهم يوما بيوم، ولحظة بلحظة. نحن هناك على الدوام، كل لحظة، دون ان نعرف. هم عندما، في وعينا، من حين لاخر فقط، ولفترة قصيرة، بعد عملية انتحارية، او عشية عيد، عندما تعلن الاذاعة ان «شعب اسرائيل يستعد لليل الفصح، وان اغلاقا تاما فرض على المناطق». في مثل هذه الحالة يختفي كل شيء تحت كلمة واحدة جافة، «اغلاق»، كلمة لا معنى لها، سوى الدلالة اللغوية، إذ ما هو الاغلاق في حياة ملايين البشر، وما هي مصادرة الارض، وما هي الضربات المتواصلة من المستوطنين، وما هو البكاء والصراخ وغلاظة القلب؟ هذا هو الخيط الواصل بين كل هذه المقالات، ان الثقافة تبنى من الاجساد الحية لبني البشر من نساء ورجال، ابناء مختلف المجموعات الاثنية. لذلك، لا يمكن للثقافة ان تعيش حقا في مكان لا يتكشف فيه هذا القدر الكبير من الام الجسد. من هنا فان الثقافة لا يمكن ان تعيش في وقت يتحجر فيه هذا القدر الكبير من مركبات الوعي..»

يتضمن الكتاب مقالات حول عدد من رموز الثقافة العبرية المعاصرة، منها المسرحي الراحل حانوخ ليفين، سز يزهار، يئير هوروفتس، افوت

يشورون، اوري صفي غرينبرغ واهرون شبتاي. كذلك يتطرق الكتاب الى بعض رموز الثقافة الغربية مثل فرويد، مارس، الماركيز دي ساد، بوكاتشو وغيرهم، ويكتب في نظرية لاكان وفوكو وادورنو وجيل دولوز.

هذا كتاب جريء مكتوب باسلوب لاؤور الخاص، الذي يعرفة القراء من خلال مقالاته في «هارتس» واشعاره ايضا.

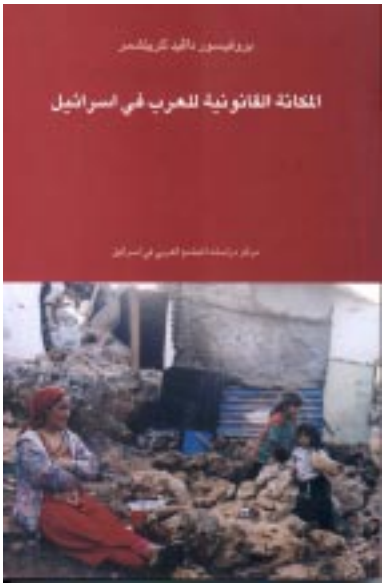

المكانة القانونية للعرب في اسرائيل

المؤلف: بروفيسور دافيد كريتشمر

ترجمة: نسرين مغربي، تحرير وتقديم: د. عادل مناع

مركز دراسات المجتمع العربي في اسرائيل – معهد «فان لير»

٢١٣ صفحة، القدس –٢٠٠٢–

صدر هذا الكتاب للمرة الاولى بالانجليزية عام ١٩٩٠ وصدرت الطبعة العربية منه قبل صدور ترجمته العبرية، وهو يبحث في المكانة القانونية للعرب في اسرائيل، ويشكل مساهمة بالغة الاهمية لفهم الاسس والحيل القانونية التي تعتمد عليها سياسة التمييز الرسمية ضد المواطنين العرب فيها.

يعالج كتاب طريتشمر من وجهة نظر اسرائيلية نقدية مسألتين اساسيتين تتعلقان بمكانة المليون الفلسطيني في الداخل، الاولي: ندى نجاح المؤسسات التشريعية في الدولة في التوفيق بين كون اسرائيل «دولة يهودية» وتعريفها لنفسها كدولة «ديمقراطية» في تعاملها مع مواطنيها العرب. اما المسألة الثانية والمكملة للاولى فهي انعكاسات التوتر القائم في ثنائية تعريف الدولة لنفسها على مكانة العرب فيها، مظريا وعمليا منذ عام ١٩٤٨.

بالاضافة الى التوصيف العام للاجهزة القضائية والتشريعية فان هذا الكتاب يعالج في فصوله المختلفة قضايا عينية هامة تخص عرب الداخل وتاريخ علاقاتهم وتجاربهم المريرة مع الدولة ومؤسساتها المختلفة. من بين اهم هذه القضايا مسألة الاراضي ومصادراتها من ايدي العرب ومسائل التمييز باوجهه المختلفة، الظاهر منها والخفي، المأسسة والعرضية. ويتطرق الكتاب للجوانب الامنية التي تشكل غطاء لسياسات التمييز المجحف بحق العرب منذ اقامة اسرائيل الى اليوم. وتتعرض الدراسة الى مسألة الحقوق الجماعية للمليون الفلسطيني، التي شهدت مزيدا من التبلور في العقد الاخير ووصلت الى المحافل الدولية ايضا.

المؤلف استاذ في كلية الحقوق في الجامعة العبرية بالقدس وعضو في لجنة حقوق الانسان التابعة للامم المتحدة وقد اختير في العام الماضي نائبا لرئيسها.

التوراة العلمانية: الاسطورة في مواجهة التاريخ

المؤلف: موشيه يهلوم

منشورات «دور»

١٧٥ صفحة، تل ابيب ٢٠٠٢

هل الاسطورة التوراتية عن تاريخ اسرائيل حقيقية؟ وماذا يبقى من تاريخ اسرائيل، في ضوء الابحاث الاركيولوجية الجديدة، التي دلت على ان «ابناء يعقوب» لم يشكلوا ابدا ذلك التحالف الذي بلغ تعداد اسباطه اثني عشر سبطا.

في هذا الكتاب يقدم المؤلف اخر التحليلات والدراسات العلمية للتاريخ الحقيقي للشعب الاسرائيلي، من خلال رحلة مثيرة الى الماضي، يتخللها تحطين عدد كبير من الرموز والمسلّمات المعروفة، التي جاءت الابحاث الاركيولوجية لتنقضها.

من استنتاجات الكاتب: ان الاسرائيليين كنعانيون، وان موسى لم يخرج بني اسرائيل من مصر، وان يهوشع لم يحتل البلاد، وان مملكة داوود كانت مملكة قبلية صغيرة تحت سيادة فلسطينية، وان سليمان كان يعبد الالهة، وان «العجل الذهبي» من السامرة كان «اله موسي» الحقيقي، وان فكرة وجود «امة اسرائيلية» ظهرت فقط ايام ياشيهو.

في مقدمة الكتاب يشير المؤلف الى ان دراسة علم الاثار في جامعة تل ابيب غيرت نظرته الى القصة التوراتية كما وردت في «المقرا»، ويقول: «كمت انا ايضا مثل اسرائيليين كثيرين ممن يأملون ان نكون حقا قد خرجنا من مصر بقيادة قائد كاريزماتي، وتلقينا رسالة التوحيد في جبل سيناء وان دافيد كان فعلا قائدا لامبراطورية اقليمية من الفرات الى النيل، تلك التي حولها سليمان الى مملكة غنية. الى امريكا العالم القديم. جميع هذه الاشياء لم تحدث ابدا. لقد سمحت القشور التي قشرتها الاركيولوجيا عن الاسطورة الاسرائيلية ووفرت

الفرصة لاطلالة مثيرة للوراء. «

موشيه يهلوم كاتب وصحفي وخريج قسم الاركيولوجيا في جامعة تل ابيب، وله عدد من الكتب العلمية المبسطة.

باب الشمس

المؤلف: الياس خوري

الترجمة العبرية: موشيه حخام، مراجعة الترجمة: انطون شماس

منشورات «اندلس»

٥٤٤ صفحة، تل ابيب، ٢٠٠٢

صدرت في مطلع هذا العام الترجمة العبرية لرواية الكاتب اللبناني الياس خوري الملحمة «باب الشمس». أنجز الترجمة موشيه حخام وراجعها أنطون شماس. وصمم الغلاف شريف واكد.

وقد تزامن صدور الترجمة العبرية مع صدور «باب الشمس» في ترجمة فرنسية في باريس، وكذلك مع قيام المخرج المصري يسري نصر الله باعداد سيناريو عن الرواية، تمهيداً لأفلمتها.

وكتب الشاعر الفلسطيني المغترب انطون شماس مقدمة خاصة بالطبعة العبرية جاء فيها:

«باب الشمس» هي خارطة الكنز الذي اسمه فلسطين، الذاكرة التي نُفيت الى خارج الخارطة تُملي الآن حكايتها على الرَّق المسوح، والحكاية تعيد رسم خارطة الوطن الضائع، حقّ العودة هو حق السرد، والسرد الذي يُفضّ هنا في الترجمة العبرية، يعيد حق السرد الى أصحابه. المطرودون من الخارطة، خارج الوطن والتاريخ، يعودون الآن تنفيذاً لحقّهم في الكلام باسم الذاكرة، بواسطة تلك اللغة التي صادرت صوتهم ومحت خارطتهم.

الكاتب اللبناني الياس خوري، الذي ولد عام ١٩٤٨، نشر «باب الشمس»، روايته التاسعة، في خمسين .١٩٤٨ طاف أعواماً بين مخيّمات اللاجئين التي على هوامش بيروت، مستمعاً الى حكايات الاقتلاع والرحيل. في «باب الشمس» يمنح الهوامش حق العودة الى المتن، واللاجئين حق العودة الى الحكاية، والجليل حق العودة الى خارطة فلسطين.

مئات الحكايات تتداخل وتتشابك : الحكايات العادية عن الحياة كما كانت قبل الطرد من فلسطين، تنجدل بالحكايات الملوّعة عن الوجود العادي الذي اجتُثّ من الحياة بصرخة مُدويّة. وحقّ الصرخة يتحقق هنا بوحاً خفيضاً يقطع نياط القلب والروح.

للرواية بطلان، عدا الذاكرة : يونس، بطل الثورة الفلسطينية، المُسجى بغيبوبته داخل «مستشفى الجليل»، وخليل، نصف الطبيب، الذي يعوده ويقوم على خدمته، ويُصرّ على إعادة وعيه إليه بواسطة الحكاية. خليل يتكلم باسم يوسف الأخرس، راوياً له حكاية يونس قبل الغياب عن الوعي، وحكاية اللاجئين من الجليل.

آمنت شهرزاد، وبرهنت، بأن في استطاعة الحكاية أن تحقّق الحياة وتؤجّل الموت.وخليل يؤمن بأن في استطاعته انتشال يونس من جوف حوت الغيبوبة، وكتابته من جديد في سفر الحياة، بأن الحكاية هي غلَبة على الموت، بأن الحكاية هي عودة الذاكرة الى الحياة.

هذه الرواية تكسر طوق الصمت حول النكبة : صمت أولئك الذين خجلوا على مدى خمسة عقود من سرد حكاية المهانة، إذ أخرسهم عار الضياع، وصمت أولئك الذين رفضوا الإصغاء الى الحكاية التي ترتسم شبحاً في لا وعيهم، فما بالك بالتحدث عنها.

«باب الشمس» تقول لنا بأن الأدب قادر على مواساة الطرفين».

العودة الى الصحراء

تحرير وترجمة: محمد حمزة غنايم

منشورات «اوغاريت»، ٢٢ صفحة، رام الله ٢٠٠٢

يحمل هذا الكتاب عنوانا فرعيا اضافيا هو «دراسات وشهادات في الثقافة العبرية» وقد تضمن الكتاب كما يوحي عنوانه عشر دراسات وشهادات ومقدمة (بقلم وليد أبو بكر) حول في الثقافة العبرية المعاصرة، بأقلام باروخ كمرلنغ (الثابت والمتحول في المجتمع والثقافة في اسرائيل)،سامي ميخائيل (وله شهادتان، الأولى بعنوان نقوش عربية على جدار الصهيونية والثانية بعنوان أن تكون كاتبًا من أصل عراقي)، مناحم بيري (الصراع كاستعارة في القصة والرواية الإسرائيليتين)، ايهود بن عيزر (العربي في الأدب العبري)، دان ميرون (شيء عن تاريخ العلاقة بين الصهيونية والأدب العبري)، محمد حمزة غنايم (المثقفون الإسرائيليون

وانتفاضة الأقصى)، اسحاق لاؤور (الركض في ساحة خراتيت)، ابراهام ب. يهوشع (انا اسرائيلي)، وموشيه شمير (تخيلت انني حر).

عالجت نصوص الكتاب قضايا تشغل بال النخبة الثقافية الإسرائيلية، وتمحورت بغالبيتها في موضوع الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي كما انعكس في كتابات هذه النخبة.

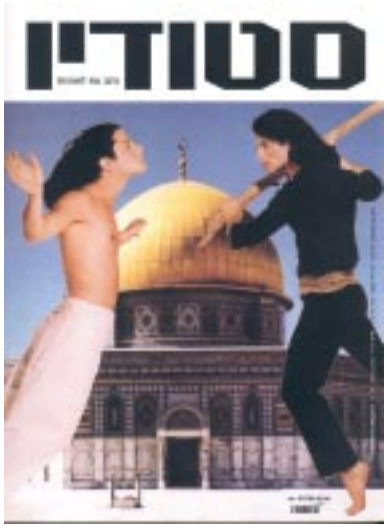

ستوديو

مجلة للفنون

تل ابيب، يونيو – يوليو ٢٠٠٢

عدد خاص عن «ظاهرة الشهيد»

«اية كلمات بامكانها ان تصف الى أي حد نحن مقصّرون في فهم انسان شاب يقرر ازهاق روحه بيده؟ ماذا نحس تجاه مجتمع يرسل ابناءه لكي يموتوا ويقتلوا بدون تمييز مواطنين ابرياء، من اليهود والعرب، والعمال الاجانب او السياح؟ لا تعكس هذه الافعال الثقافة التي ارسلت هؤلاء الشباب للموت فحسب، بل الاحتلال المتواصل الذي تسبب لهم لفقدان أي امل بالحياة الحرة والكريمة.

«لست عام نفس. ولا اريد ان اشرح او احكم على مجتمع على اساس هذه الافعال، ولا اريد تبريرها، فقط لكونها نابعة من النضال من اجل الحرية. كل ما اريد فعله هنا هو ان اصف كباحث في الثقافة ونظريات التصوير مرحلتين في سيرورة رحلة الانتحاري المتفجر. يتم توثيق عملية الانتحار المستقبلية بالصور واشرطة الفيديو التي يخرجها متطوعون فلسطينيون قبل خروجهم للمهمة. هذه التصاوير هي شهاداتهم الاخيرة قبل موتهم. اخترت ان ابحث في صورة من خمس صور لمنتحرين فجروا انفسهم سنة ١٩٩٥ انتقاما لمقتل يحيى عياش («المهندس») على يد جهاز الامن الاسرائيلي..»

بهذه الكلمات يبدأ مئير فيغودار، الباحث في الثقافة ونظريات التصوير، مقاله المنشور في العدد الجديد من مجلة «ستوديو» العبرية بعنوان «كوكتيل شهيد: افكار حول انكسار الحياة اليومية»، وفيه يحلل كما اشير اعلاه صورا من عمليات انتحارية نفذها فلسطينيون داخل اسرائيل في العقد الاخير، وتاثيراتها الثقافية والعاطفية الابعد على المجتمع الانساني.

ضم العدد ايضا ندوة مسجلة عن اذاعة امريكية حول «منتحري اليوم هم اولاد الانتفاضة الاولى»، شارك فيها الدكتور اياد السراج والبروفسور ارئيل مراري، ومقالا للشاعر اهرون شبتاي حول اعمال الفنان مئير فرانكو في معرضه الخاص في العام الماضي في هرتسليا بعنوان «انظر كيف يبكي ورد الحب»، وهناك دراسة مهمة بعنوان «حول مبدأ الارتفاع: مستوطمات الجبل» بقلم ايال فايتسمن ورافي سيغل، وهما مهندسان اسرائيليان معروفان، اختيرا لرعاية المعرض الاسرائيلي في المؤتمر الدولي لاتحاد المهندسين المعماريين العالمي في برلين (يوليو ٢٠٠٢)، وكتبا نصا مهما حول انماط البناء الاستيطاني الصهيوني قي ظهر الجبل، في اراضي الدولة الفلسطينية المحتلة.

ويكتب: «بساخدم دولة اسرائيل وجود المستوطنين فوق الارض كوسيلة اضافية للادارة والسيطرة، علاوة على وكلاء القوة والسيطرة المتعارف عليهم في الدولة – الجيش والشرطة واجهزة الامن. يتم تجنيد التطلع الى بيت عائلي في خدمة السيطرة العسكرية، ولمراقبة الفلسطينيين والسيطرة عليهم، وبعلم منهم او بغير علم، فان عيون المستوطمين الباحثة عن طبيهة توراتية قديمة، «تـُخـَتـَطف» في صالح اهداف استراتيجية وجيوسياسية».

عرب يرقصون، رواية

تأليف: سيد قشوع

منشورات مودان

١٦٦ صفحة، تل ابيب ٢٠٠٢

عرب سيد قشوع يرقصون فرادى وجماعات، على الحان لم تصنع خصيصا لمثل هذا النوع من «الرقص الشرقي». لذلك جاء رقصهم «مائلا»، فوق سطح يهدد كل الوقت بأن يجرفهم نحو المنحدر الخطير.

كابدت كثيرا في قراءة رواية الكاتب الصحفي الشاب سيد قشوع (مولود سنة ١٩٧٥ في طيرة المثلث) «عرب يرقصون»، التي كتبها بالعبرية وصدرت مطلع العام في تل ابيب. قلت لنفسي ان قراءة عمل «مختلف» كهذا وسط احتفاء اعلامي اسرائيلي غير عادي بهذا الكتاب المُسيّس حتى النخاع، لا يجب ان تتم «قريبا من الحدث»، وان الافضل ان يُقرأ بعد ان «تهدأ العاصفة». وعندما شدتني الرواية اليها مجددا، وانا ارقب عن كثب اداء صاحبها الاعلامي «غير المختلف» في بعض وسائل الاعلام الاسرائيلية، تراجعت، لأن النسخة

الوحيدة التي املكها عادت اليّ، بعد إعارة، غارقة بملاحظات كتبت في الحواشي، لم تترك لي مجالا لأن أقرأها دون ان اكون متأثرا بالضرورة بما دونه «قارئي النهم» من اشارات وهوامش بالقلم الرصاص. ولأنني لا اقرأ بعيون غيري، او بوعيهم، وجدتني اعلل نفسي مرة اخرى بوجوب الحصول على نسخة «نظيفة» من الرواية، حتى اجد سببا يجعلني اؤجل القراءة من جديد. لكن «عرب يرقصون» جديرة بالقراءة من باب اولي، لذلك تدبرت امري وقرأت، متجاهلا ملاحظات «القارىء النهم» في حواشيها. تفرغت لقراءة الرواية، كونها عملا ادبيا اضافيا «مختلفا» يشد قارئه العربي او العبري على السواء، ويشق طريقه بثقة الى «الرف العربي» في المكتبة العبرية، مؤسسا الى حد كبير على الانجاز الاكبر فوق هذا الرف، كان قد اجترحه الشاعر المبدع انطون شماس، عندما اصدرت «عام عوفيد» قبل ستة عشر عاما روايته الطليعية الرائعة «عربسك»، المكتوبة من «الفها» الى «تائها» بالعبرية، وباسلوب ومضمون مميزين، وبنكهة فلسطينية قوية ومؤثرة

قلت لنفسي: هذه فرصة للعودة الى «مدرسة شماس» (التي ينسبون اليها ظلما بعض الاقلام الطائفية التي كتبت مرة بالعبرية، وعادت تتقوقع في «صدفتها الطائفية» من جديد، لأنها لا تملك غير ذلك الآن!) وفحص «جرائره العبرية» على التكون الثقافي العربي في اسرائيل، بعد ان اصبح نموذجا محفزا للتقليد الادبي، فوق اسطحنا الثقافية الملتهبة. في هذه الاثناء وجد انطون شماس نفسه خارج الوطن، بعيدا جدا عن الامتار المائة التي فصلت بينه وبين «دولته وعلمه»، بلغة الكاتب الاسرائيلي الصهيوني ابراهام ب. يهوشع، الذي ضاق ذرعا على ما يبدو بهذا «الغريب» القادم الى مطبخ اللغة العبرية، محاولا، «بعبرية تليق بيوم السبت»، اجراء «حسابه – الثقافي – القومي» مع الثقافة التي انتجت هذه اللغة، ومع مثقفيها، العنصريين منهم وغير العنصريين. منذ ذلك الحين «حررت» العنصرية في اسرائيل مساحات ثمينة اضافية في الوعي الثقافي والقومي الصهيوني العام، لم ينجح «الصوت العربي» خلال الفترة التالية على صدور «عربسك» باختراق جدرانها الفولاذية السميكة، على رغم «الهيصة» العامة التي سادت في النصف الاول من العقد التالي على صدورها (التسعينيات)، وابتداء مشروع التسوية السياسية (المتعثر، حاليا، بشكل مأساوي!) بين اسرائيل ومنظمة تحرير فلسطين. من هنا بدت مهمة الكاتب والصحفي سيد قشوع (يكتب بالعبرية في صحيفة «هعير» الاسبوعية) عسيرة وصعبة، تجعل صاحبها بحاجة الى ما هو ابعد بكثير من مجرد امتلاك ناصية لغة «زوجة الاب» العبرية، حتى ينجح، بدوره، باجراء «حسابه القومي» مع جمهور الهدف الذي كان ماثلا امامه لدى شروعه بالكتابة. ذلك ان قشوع لم يكتب «قصة حب» كما يخيل لي، وانما كتب رواية واقعية – سياسية «بل سياسية اكثر من اللازم»، كما تكتب شوهم سميت (في ملحق «كتب» التابع لصحيفة «هارتس» ٣٠ يناير ٢٠٠٢) ولأن قشوع عربي، يقومون بفحصه وتفحص انتاجه وادائه الابداعي بعدسة يهودية مكبرة، لا بد ان تظهره – كما «جرت العادة» في الاعلام الصهيوني – في واحدة من اثنين: اما ان يخرج على هيئة الـ «عربي الجيد»، واما انه مبدع «عربي شرير»!!

قشوع يبدو لي بين هذين القطبين الظالمين «عربيا طيبا»، وشجاعا، وحساسا الى ابعد الحدود. ومع اني لا احب ما يناط به من ادوار احيانا في نطاق عمله الصحفي (شريك ضيف في بعض البرامج الاخبارية التلفزيونية، سرعان ما يجد نفسه خلالها شريكا كذلك في ترديد بعض المفردات الاصطلاحية الصهيونية الموجهة فوق ارضية الصراع الفلسطيني – الاسرائيلي) الا انه يبدو لي «بطلا اشكاليا» الى حد كبير. صحيح انه يقوم بمحاسبة جمهوره العبري على مواقفه وسلوكياته فوق ارضية الصراع، الا انه، ومن خلال قراءة بعض المقبوسات البارزة من روايته، لا يفعل ذلك انسجاما مع مفاهيمه الخصوصية للغاية في قضايا الصراع، بل بموجب الايحاءات التي تطرحها المفاهيم الاصطلاحية التي طورتها لغة ذلك الجمهور – الهدف مع الوقت. حسابه «اليهودي» هذا يكاد يختفي اذا ما قورن بحسابه «العربي»، اللاذع، والساخر كثيرا الى درجة لا تطاق!

بكلمات اخرى: قشوع يسخر منا، نحن العرب، بالعبرية، ويصنع «بوميرانغ» ثقافيا يطلقه مثل روبوت موجه بالريموت كونترول نحو اهداف معينة موجودة فوق هذا السطح، لكنه يفعل ذلك بموجب شيفرة عبرية لا يتقن هذا الروبوت فهم سواها، ويقوم بالامتثال لتعليماتها بشكل اوتوماتيكي. لذلك بدا هذا الكاتب العربي «الساخر منا» في عمله الادبي الاول بطلا ثقافيا منفصما بشكل مأساوي. ويخيل ان ناشر كتابه كان يعني هذا الانفصام عندما كتب في تظهيره له ان بطله (أي: الكاتب نفسه) «كله فلسطيني وكله اسرائيلي، وكله عبري وكله عربي، يسير فوق طريق تبدأ من طفولته في الطيرة، ومن صباه في مدرسة داخلية يهودية في اورشليم المحررة والمحتلة في آن».

سيظل قشوع يعاني هذا «الفصام» الثقافي، حتى لو بدت روايته لوحة كبيرة في سرد سيرة الالم في هذا المكان. لماذا؟

الاجابة مركّبة جدا، تستحق عودة اوسع ليس هنا مجالها. فهي تخص قضية حضورنا الغائب فوق ساحة العمل الثقافي العبري، وكذلك حضورنا المغيب في هذا الوطن. ومع انها توفر للقارىء العبري اطلالة ما على جوانب خفية من حياة العربي «الآخر» في هذه البلاد، الا انها تبقى محكومة للظاهرة ذاتها: أن عربيا يكتب بالعبرية عن الصراع من زاويته «الاسرائيلية»، ويقول ذلك بطريقة تسطيحية للغاية، تجعل روايته، بلغة «قارئي الذكي» مرة اخرى، «سيرة عن عربي يتفجر رأسه من الازدواجية الساحقة، التي يحاول من خلالها البحث رغم انفه عن مسار يجعله السير فوقه مختلفا، لكنه يبقى اسير الأنا – الآخر الذي لا يغادر مرآته المشوشة». من هنا مصدر التحفظ من حساب الذات الروائي هذا الذي اجراه قشوع مع نفسه ومع «الآخر»، بمصطلحات «اسرائيلية» للغاية، جعلت النكهة العربية – الفلسطينية مشوشة تماما في عمله الادبي الاول هذا.

عرب سيد قشوع يرقصون فرادى وجماعات، على الحان لم تصنع خصيصا لمثل هذا النوع من «الرقص الشرقي». لذلك جاء رقصهم «مائلا»، فوق سطح يهدد كل الوقت بأن يجرفهم نحو المنحدر الخطير.